۱۶۵۶۶

مجله	الرابطة العالم الاسلامی
تاریخ نشر	ج ۱۳۸۸
شماره	چهارم سال ششم
شماره مسلسل	
محل نشر	مکة
زبان	عربی
نویسنده	عبدالله خیاط
تعداد صفحات	۶ — ۹
موضوع سرفصلها	اثر الاعلان فی التحول
کیفیت	
ملاحظات	

أثر الايمان في التحول

بقلم الدكتور عبد الله خياط
مستشار وزارة المعارف

وكم للايمان من آثار حميدة تدفع إلى التحول من السيىء إلى الحسن بل إلى الاحسن والأفضل والأمثل – ذلك أن الايمان في القلب أشبه بمصباح يرسل أشعته فيهدى إلى السبيل السوى وينير للنفس الحقائق فتستبدل الغى بالرشد والضلالة بالهدى .

وليس كل من زعم الايمان يكون في واقعه مؤمنا – حتى تبدو آثار الايمان عليه وتظهر في تصرفاته واندفاعاته نحو الخير ومسلك الرشد وحتى يتحول كما أسلفنا القول الى التي هى اقوم سبيلا – وقديما زعم قوم من الاعراب حديثوا عهد بالاسلام أنهم ارتقوا الى الايمان ولم يكونوا في الواقع كذلك – اذ لم تبد عليهم آثار التحول الحميد من خلال اشعاعات الايمان التي تدفع الى التضحية في سبيله – فانكر الله عليهم هذا الزعم – وقال تعالى :

قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم . الحجرات آية (١٤)

قال ابن كثير رحمه الله تعليقا على هذه الآية – يقول تعالى منكرا على الاعراب الذين أول ما دخلوا الاسلام ادعوا لأنفسهم مقام الايمان ولم يتمكن الايمان في قلوبهم بعد اه اى لم يكن له بوادر تشعر بالتحول والاخذ في دروب التضحية تتأثر بوحي الايمان كما هو واقع المؤمنين الذين اوضح الله واقعهم بقوله

إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون . الحجرات آية (١٥)

قال ابن كثير انما المؤمنون الكمل الذين لم يشكوا ولا تزلزلوا بل ثبتوا على حال واحدة وهي التصديق المحض وبذلوا مهجهم ونفائس أموالهم في طاعة الله ورضوانه أولئك هم الصادقون في قولهم اذ قالوا إنهم مؤمنون – لا كبعض الاعراب الذين ليس لهم من الايمان الا الكلمة الظاهرة اه

والكلمة الظاهرة التي يعنيها ابن كثير رحمه

الله هي مجرد الزعم والصورة دون حقيقة – زعم الايمان وصورته لا حقيقته ومواقفه التي تكون لها الأثر الفعال في النقلة والتحول – يزعم البعض الايمان – ولكنه يهمل ابرز جانب يوحي به الايمان يهمل العقيدة التي هي غراس الايمان فلولا العقيدة لم يكن ثمة تضحية – او تحول الى الجانب الخير الذى يعتقد المؤمن أن له الثمار الطيبة والعواقب الحميدة – يطالعنا في أخبار الماضين قصة سحرة فرعون وما كانوا عليه قبل ان يخضعوا عقيدة التوحيد – ويؤمنوا بواقعها ثم بعد ان أشرب قلوبهم الايمان وتحولوا اليه عن عقيدة لم يصرفهم عنها جبروت فرعون ولا صولته ووعيده لهم بأقسى العقوبات

«فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى». «طه ٧١»

فردوا عليه في شجاعة وإيمان وعقيدة بما حكاه عنهم الله

«قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذى فطرنا فاقض ما أنت قاض – إنما تقضي هذه الحياة الدنيا – إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا – وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى طه آية (٧٢)

وتطالعنا قصتهم مرة أخرى في سورة الشعراء قبل وبعد تحولهم إلى الهدى قال تعالى :

«فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين قال نعم وإنكم إذا لمن المقربين قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون» الشعراء «٤١ – ٤٥»

وأمام هذا الواقع وظهور الحق كوضح النهار لم يكن بد من تحول السحرة بعد هداية الله لهم وإشراق نور الايمان في قلوبهم – وكان ختام القصة

«فألقي السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذى علمكم السحر فلسوف تعلمون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين – قالوا لا ضير إنا إلى ربنا منقلبون . إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين» الشعراء «٤٦ – ٥١».

وذلك هو أثر الايمان في تحول القلوب وتركيز العقيدة في النفوس والجزم على التضحية مهما كلف المؤمن ذلك من عنت أو اكتنفه من بلاء – لقد كان السحرة اول أمرهم معتزين بسلطان فرعون واغراءاته لهم بالمال والجاه ورفعة المقام – ثم ضربوا بكل ذلك صفحا معلنين إيمانهم – معتزين باعتناقهم لعقيدة التوحيد قائلين –

«إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا». طه آية (٧٣)

ويطالعنا ايضا من أثر الايمان تحول الأعراب الجفاة غلاظ الاكباد من الجفاف والغلظة الى العطف والشفقة والرحمة – كما قال تعالى في وصف واقعهم –

«محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم» الفتح آية (٢٩)

كما تطالعنا ايضا قصة الاعرابى الذى آمن

واتبع الرسول صلى الله عليه وسلم وهاجر معه فاوصى به اصحابه

فلما كانت غزوة خيبر – غنم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا فقسمه وقسم للاعرابي فاعطى اصحابه ما قسم له وكان يرعى ظهرهم فلما جاء دفعوا اليه فاخذه وجاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم – فقال ما هذا يا رسول الله ؟

قال قسم قسمته لك . . قال الاعرابي : ما على هذا اتبعتك – ولكن اتبعتك على ان ارمى بسهم فأموت فادخل الجنة – بالله كم يصنع الايمان والعقيدة من اعاجيب وكم لها من اثار حميدة في التحول الى أفضل منهج وأقوم سبيل – ان حياة الاعراب كانت قوامها السلب والنهب والغارات طلبا للمادة وجريا على طبيعتهم في الغلظة والجفوة ولكن الايمان احدث في نفوسهم انقلابا لا تحدثه اعظم وسائل الاغراء – او حتى القوة والشدة والعسف – لقد عرف من اخلاقهم ان احدهم لا يتورع ان يسلب اقرب قريب اليه ويأكل ما له كغنيمة باردة فاصبح اليوم بفعل الايمان – والعقيدة – يتعفف احدهم عن قبض الحق المستحق له من الغنيمة الذى يقسمه له الرسول الكريم خشية أن يكون ما يقبضه ثمنا لجهاده – وعوضاً عن تضحياته – إنه يرى الجنة أعظم كسب يطلبه لا يرتفع اليها اى غنم مادى ولذلك رغب أن يقاتل فيقتل في سبيل هذه الغاية التي يطلبها وقال عنه الرسول الكريم بعد ان علم باستشهاده (لقد صدق الله فصدقه)

يقول أحد العلماء في مقال ضاف له عن الايمان وصنعه للأعاجيب – لقد حار المؤرخون الغربيون والمستغربون – فى فهم السر العجيب الذى حول هذه الامة من رعاة غنم الى رعاة أمم – ومن قبائل بداوة الى امة حضارة وهيأ لها سبيل النصر على كسرى وقيصر وفتح لها باب السيادة على معظم الدنيا القديمة – فى عشرات من السنين – لا عشرات من القرون – ولكن العارفين لا يدهشون ولا يحارون فالسر معروف – والسبب معلوم – إنه هو إكسير الايمان – الذى صبه محمد صلى الله عليه وسلم – فى نفوس أصحابه فنقلهم من حال الى حال – من وثنية الى توحيد ومن جاهلية الى الاسلام اه فغدو كما قال ربعى بن عامر لقائد جيوش الفرس في وقعة القادسية وهو يقرر واقع المسلمين بعد تحولهم من الوثنية الى الاسلام غدوا دعاة اليه وانصاراً له يذودون عن حياضه بعد ان كانوا في جاهليتهم حربا عليه « ابتعثنا الله لنخرج من شاء من عبادة العباد الى عبادة الله – ومن ضيق الدنيا الى سعتها ومن جور الاديان التي تخالف الاسلام الى عدل الاسلام

ذلك هو أثر الإيمان وتلك هى العقيدة التي آمن بها ربعى رضى الله عنه

ويجب ان يؤمن بها كل من يحتضن الاسلام فلولا العقيدة لم يكن ثمة من يؤمن بفكرة او يدافع عن ايمان – ولنا أن نتخيل بن هذا القول مدرجا الى بحث الواقع المؤلم – الذى يعيشه المسلمون اليوم تحت تهديدات إسرائيل وسماع وعيدها وبين تعنتها وإصرارها على عدم الانسحاب من الارض التي اغتصبتها – أو لم يكن – في هذه المجموعة الاسلامية المنيفة في أقاصي الدنيا والتي تقدر بما يربو على

الستمائة مليون مسلم يؤمن بعقيدة الاعرابى الذى اتبع الرسول ليضحي بنفسه في سبيل الله وليقاتل فيرمى بسهم فيموت فيدخل الجنة ويدافع عن حوزة الاسلام بوحى من إيمانه وما يفرضه من تحول عن زهرة الدنيا الذاوية الى نعيم الآخرة الدائم الوارف الظلال – أو يؤمن بعقيدة ربعى رضى الله عنه بان الله ابتعث المسلمين عامة لا أهل الصدر الأول فحسب بل الى قيام الساعة ليخرجوا من شاء من عبادة العباد الى عبادة الله فيندفع المسلم بدافع هذه العقيدة والايمان ليعمل على أن تكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى سواء كانوا مستعمرين أم شيوعيين وصهيونيين – الواقع ان العالم الاسلامي كما قال عنه العلامة أبو الحسن الندوى في حاجة الى بعث جديد في العقيدة ، والايمان والاخلاق والاعمال – انه ليس في حاجة الى دين جديد ولكنه في حاجة الى ايمان جديد بالحقائق الخالدة والعقائد الخالدة – والرسالة الخالدة – والدين الخالد – ... إن قوة الرعيل الأول والطراز المتقدم من هذه الأمة في انه كان يحمل إيمانا جديدا فعجز الايمان القديم الضعيف البالى الذى كانت تحمله بعض الامم عن مقاومته – وكان كالشمس الجديدة التي تطلع على العالم فتسطع على كل شيء وتنير كل شيء – انه جدت فتن – وجدت خطوب وجدت معارك فليجددوا الايمان اه اجل لن تقوم للمسلمين قائمة حتى يجددوا إيمانهم وحتى يحملوا عقيدة ذلك الاعرابى التي هى عقيدة كل مسلم ويدافعوا عن إيمان بأن الاخرة لهى الحيوان وان الشهادة هى خير مغنم يربحه من يقطع اشواط الحياة يحمل عدته وعتاده سعيا الى المعركة معركة الحق مع الباطل معركة الكفر مع الايمان – أجل ذلك هو وحي الايمان الصادق او على حد تعبير الشيخ ابى الحسن الايمان المتجدد إنه يبعث على التضحية والفداء – والحياة بدون تضحية وبدون فداء لا لون لها ولا طعم انها حياة العجماوات . ولا خير فيمن هبطت نفسيته وقنع بحياة العجماوات .